# معايير الجودة وأصول الكتابة في الصناعة الأدبية عند أبي بكر الصولي

**د. عبد الرحمان إكيدر**
**أستاذ التعليم العالي**
كلية اللغة العربية
جامعة القاضي عياض - مراكش، المغرب

## ملخص:

يعد كتاب (أدب الكُتّاب) لأبي بكر الصولي (335 هـ) من نفائس الكتب العربية التي تحتوي على فوائد جمة ومباحث مهمة جديرة بالدراسة والتحليل، لما يتضمنه من معلومات قيمة يحتاجها الكاتب الحاذق، وذلك بأسلوب يتسم بالإيجاز البليغ ووضوح الأفكار، حيث يعتبر الصولي الكتابة صناعة يتطلب الإقبال عليها إنفاق بعض العمر والجهد والفكر، كما تتطلب مجموعة من المهارات وتوفر عدد من الأدوات اللازمة لإنجاح هذه الصنعة. وهنا يدخلنا الصولي إلى فضاء جمالي من خلال اقتباسات من ثقافات مختلفة تولي عناية خاصة بفعل الكتابة، مستشهدا في كل ذلك بنصوص دينية وأخرى شعرية. وسنسعى من خلال هذا المقال إلى التركيز على معايير الجودة في الكتابة والصناعة الأدبية عند أبي بكر الصولي، والمتمثلة في الجوانب العلمية والعملية التي يحتاجها الكاتب في صنعته.

**كلمات مفتاحية:** الكتابة، الصناعة، مهارات الكاتب، ضوابط الكتابة، أدوات الكتابة.

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

إكيدر، عبد الرحمان. (2024، دجنبر). معايير الجودة وأصول الكتابة في الصناعة الأدبية عند أبي بكر الصولي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 9 (الجزء 2)، السنة الأولى، ص 184-198.

## Abstract:

The book (Authors' Literature) by Abu Bakr Al-Sawali (335 AH) is one of the most important Arabic books that contains great benefits and important topics that deserve appreciation, because it contains valuable information needed by a skilled writer, in a style characterized by eloquent brevity and clarity of ideas. Al-Soli believes that writing is an industry that requires some life, effort and thought, and a set of skills that every writer must possess. And a number of tools are needed to make this industry successful. Here, Al-Sawy enters us into an aesthetic space through quotes from different cultures that pay special attention to the work of writing, citing a number of religious and poetic texts. In this article, we will seek to focus on the quality standards in writing and the literary industry at Abu Bakr Al-Soli, which are represented in the scientific and practical aspects that the writer needs in his making.

**Keywords :** writing - writer skills - writing controls - writing tools..

## تقديم

لقد بيَّن الأدباء العرب القدامى معايير الجودة في الكتابة العربية وأشاروا إلى أصولها وآدابها ومعارفها، ووضَّحوا ما يجب على الكاتب المعتبر أن يفعله في هذا الميدان، واعتبروها صناعة ثقيلة تقتضي التعب والبحث وتورث صاحبها القلق، وهي صناعة لا تقتصر على الفكرة أو الصياغة وجماليات الأسلوب فحسب، ولكن أيضا تتطلب مجموعة من الأدوات والمهارات التي ينبغي لكل كاتب أن يستحضرها ويتقنها. إنها مهنة السعي الدائم وراء كل ما يعبر عن الوجدان ويحفظ الهوية وينفع الناس ويمكث في الأرض. فالكاتب المعتبر يحتاج أن يكون ضليعا في اللغة، مطلعا على أسرارها وخفاياها، وما تحمله العبارات من المعاني الصريحة والخفية، وعالما بخصائص الكتابة وأدواتها ليوظف كل ذلك في كتبه، وأن يضعه في مواضعه المناسبة.

ويعد كتاب (أدب الكتّاب) لأبي بكر الصولي (ت. 335 ه) من نفائس الكتب العربية التي تحتوي على فوائد جمة ومباحث مهمة جديرة بالتقدير، لما يتضمنه من معلومات قيمة يحتاجها الكاتب الحاذق، وذلك بأسلوب يتسم بالإيجاز البليغ ووضوح الأفكار. فالصولي يعتبر الكتابة صناعة أدبية شريفة يتطلب الإقبال عليها إنفاق بعض العمر والجهد والفكر؛ لهذا نجده في هذا الكتاب يقدم مجموعة من النصائح والتوجيهات، ويسرد الملكات التي يجب على الكاتب أن يتمتع بها.

### أدب الكتاب: دواعي التأليف

لقد احتفت المصنّفات القديمة بالصناعة الأدبية وفعل الكتابة وأدواتها، ووضع العلماء السابقون العديد من المؤلفات التي تعين الكاتب على الاستزادة في علوم الكتابة ومعارفها وأدواتها ومهاراتها، ومن ذلك "أدب الكاتب" لابن قتيبة (ت. 276 ه)، وكتاب "الوزراء والكتاب" للجهشياري (ت. 331 ه)، و"صناعة الكُتّاب" لابن النحاس (ت. 338 ه)، و"كتاب الصناعتين" لأبي هلال العسكري (ت. 395 ه)، و"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لابن الأثير (ت. 637 ه)، و"حسن التوسل إلى صناعة الترسل" للشهاب الحلبي (ت. 735 ه)، وموسوعة القلقشندي (ت. 821 ه) الضخمة "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" ... إلخ، وكلها كتب أصلت لصناعة الكتابة، ورسخت أركانها وأسسها.

ويعد الصولي أحد رجالات الدولة العباسية وكان عالما بفنون الأدب، وحسن المعرفة بآداب الملوك، واسع الاطلاع، غزير المادة، كثير المحفوظات. وقد اتخذه الراضي بالله نديما ومعلما ثم

المقتدر بالله وقبله المكتفي، وهذا ما يفسر الصبغة التعليمية المهيمنة على الكتاب. يقول عن دواعي تألفيه لهذا الكتاب: "هذا كتاب ألفناه فيما يحتاج إليه أعلى الكتاب درجة. وأقلهم فيه منزلة. وجعلته جامعا لكل ما يحتاج الكاتب إليه، حتى لا يعوّل في جميعه إلا عليه"[1]. وقد عمل الصولي على استقصاء كل الجوانب المتعلقة بصناعة الكتابة، يقول: "وقد سلك بعض مؤلفي هذا الكتاب، طريق الصواب، ولم يوغل فيه، وأتى بطرف من الأخبار ولم يستقصه"[2]، لقد ركز الصولي على ضوابط هذه الصنعة وما ينبغي على الكاتب نهجه والاستعانة به، مستدركا ما أغفله السابقون، ذلك أن كتابه يحوي بين دفتيه مجموعة من الوصايا والإرشادات التي تخول للكتاب النبوغ في صناعتهم.

لم يقتصر الصولي في كتابه على ذكر فضل الكتابة ومنزلتها الشريفة، وإنما توقف مليا عند ضرورة تعلمها وتعليمها والتعرف على فوائدها وضوابطها وقوانينها، يقول في هذا الصدد: "وليس هذا الكتاب والفوائد فيه معمولا لتابع دون متبوع، ولا خامل دون نبيه، ولا محروق دون محفوظ. ولا ينبغي لمن رفعته حال، وساعده جد، وهو يؤنس من نفسه تقصيرا في الأدب، وتخلفا عن صناعة الكتابة، أن يغتر بحظه، وإقبال الأيام عليه في وقت، فإنها دول منقلبة وأحوال متصرفة، وليتلاف ما ضيع، ويستدرك ما فرط، ولا يتكل على كفاءته، منشغلا بلذاته. ومريحا قلبه وجسمه، مستعيرا في كل وقت عليهم"[3]. ويضيف مبرزا ضرورة الإقبال على هذه الصناعة: "وإنما ذكرت هذا الفصل لأرغب أهل هذه الصناعة الشريفة في الإقبال عليها، وإنفاق بعض العمر في طلبها. فإنها من أجل ما كدّ فيه الفكر وقطعت به الأيام"[4].

**أهمية الكتابة ومكانتها:**

افتتح الصولي كتابه بالحديث عن صناعة الكتابة وشرفها، وتبيين مكانة أهل تلك الصناعة وما يعول عليهم في انتظام المُلك وإصلاح حال الأمة، يقول: "وبالكتابة جمع القرآن، وحفظت الألسن والآثار، ووكدت العهود، وأثبتت الحقوق، وسيقت التواريخ، وبقيت السكوك، وأمن

[1] الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أدب الكتاب، نسخه وعلق عليه: محمد بهجة الأثري، المكتبة السلفية، مصر، 1341 هـ، ص 20.

[2] نفسه، ص 21.

[3] الصولي، أدب الكتاب، ص 25.

[4] نفسه، ص 26.

الإنسان النسيان، وقيدت الشهادات"[1]. والملاحظ أن الصولي لم يخرج عن نهج الأدباء في افتتاح مؤلفاتهم المتعلقة بالكتابة بموضوع ثابت ومحدد ألا وهو فضل الكتابة وبيان شرفها ومنفعتها والدفاع عنها. يقول جابر عصفور "وأول ما نطالعه، في كتب صنعة الكتابة، أن الله تعالى شرف الكتابة بإضافتها إلى نفسه، وإن كان الحكم في إضافتها إليه سبحانه على غير الحكم في إضافتها إلى خلقه، فقال عز وجل: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ [الأعراف/ 145]. وقال: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ [المائدة/ 45] ونسب تعليمها إلى نفسه، فقال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق/ 1-5] (...) وجاء في التفسير أن هذه السور مفتتح الوحي وأولى الآيات التي أنزلها الله تعالى من كتابه على رسوله. وفي ابتداء الله تعالى فيما عدده من نعمه على الإنسان بذكر القلم وتعليمه إياه به ما لم يعلم من قبل أظهر دليل على عظم رتبة الكتابة"[2].

لقد أشار الصولي إلى منزلة الكتابة وفضلها، مؤكدا أن الله تعالى بيّن عظمة شأنها، وامتن على الإنسان بهذا الكرم والفضل على سائر مخلوقاته، إذ تكشف العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هذا الاهتمام بشأنها وبقدرها الجليل؛ فالرسول ﷺ ندب إلى تعلمها، وحث على طلبها، فقال عليه الصلاة والسلام: "قَيِّدُوا العِلمَ بالكِتَاب"[3]. كما دعا ﷺ الأسرى من المشركين إلى تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة كشرط لإطلاق سراحهم.

وقد عد عدد من الأدباء أن منزلة الكتابة تلي الخلافة في القدر لعظيم فضلها على السلطان ودولته، وهي أجلُّ ما يطلب، وأشرف ما فيه يرغب، وأحسن ما عمل وأنها جُعِلت في عِلِيَة الناس، يقول النحاس موردا خبراً عن أبي جعفر حول أهمية الكتابة وفضلها: "الكتابةُ أُسُّ المُلك، وعمادُ المملكة، وأغصانٌ متفرقة من شجرة واحدة. وهي قطبُ الأدب، وفلكُ الحكمة، ولسان ناطق، وهي نور العلم، وتزكية العقول، وميدان الفضل والعدل، وهي زينة وحلية، ولبوس وجمال وهيئة وروحٌ جارٍ في أجسام متفرقة، ولو أن فضلاً ونُبلاً تصورا جسما لتصورت الكتابة... ولو أن الصناعة

[1] نفسه، ص 24.

[2] عصفور، جابر، غواية التراث، كتاب العربي، ع 62، وزارة الإعلام، الكويت، أكتوبر 2005، ص 201.

[3] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 2. د.ت، ج1، ص 396.

مربوبة لكانت الكتابة سيّداً لكل صناعة... وبها قامت السياسة والريَّاسة، وإليها ضوتِ الملوكُ بالفاقة والحاجة"[1].

**مهارات الكاتب وثقافته:**

يُجمع الأدباء على ضرورة امتلاك الكاتب لمجموعة من المهارات والقدرات التي تخول له فعل الكتابة وممارستها، كإلمامه بعلوم اللغة العربية وآدابها، واطلاعه على تصانيف الكتاب في مختلف ضروب المعرفة، وكذا إتقانه لأصول الكتابة وتقنياتها. يقول أبو هلال العسكري: "ينبغي أن نعلم أن الكتابة تحتاج إلى آلات كثيرة، وأدوات جمة، من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ وإصابة المعنى[2]". ولا يستغني كاتب الإنشاء عن علم، ولا يَسعُه الوقوف عند فن، لأن الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف مع ضرورة استحضار مجموعة من المعايير والقواعد اللازم اتبعاها والسير على منوالها، وقد أشار الصولي في كتابه إلى أهم هذه العناصر والمعايير أثناء الكتابة.

**1. افتتاح الكتاب بالبسملة:**

يشير الصولي إلى أن أول ما يفتتح به الكتاب هي البسملة (بسم الله الرحمان الرحيم) سيرا على نهج القرآن الكريم، إذ تفتتح كل سورة بالبسملة، واهتداء كذلك بما ثبت عن الرسول ﷺ في رسائله وخطبه، ومن سار على منواله من الخلفاء الراشدين. أما عن ضوابط كتابتها ورسومها، فيقول الصولي: "يختار الكاتب أن يبدأ بكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من حاشية القرطاس ثم يكتبون الدعاء من تحته مساويا ويستقبحون أن يخرج الكلام عن بسم الله الرحمن الرحيم فاضلا بقليل ولا يكتبونها وسطا ويكون الدعاء فاضلا وإنما يفعل ذلك بالتراجم. ومن الكتاب من يرى أن يجعله وسطا في أسفل الكتاب بعد انقضاء الدعاء الثاني والتاريخ إذا احتاج إلى تبيين نسخة كتاب متقدم أو حساب ليفرق بين منزلته من صدر الكتاب وبين عجزه. وقد ذهب إليه قوم. ولا يفسح ما بين بسم الله الرحمن الرحيم وبين السطر الذي يتلوه من الدعاء، ولكن يفسح ما بين الدعاء إذا استتم وبين سائر المخاطبة. ولا يتجاوز بالدعاء ثلاثة أسطر ولا يستتم السطر الثالث على المشهور من مذاهب أجلاء الكتاب"[3].

---

[1] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، عمدة الكُتَّاب، دار ابن حزم، بيروت، 2004، صص 363- 369.

[2] العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، تحقيق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص171.

[3] الصولي، أدب الكتاب، ص 36

### 2. أما بعد:

يشير الصولي إلى أن من العبارات التي تتصدر الكتب ويتوجب على الكاتب إدراجها بعد البسملة عبارة (أما بعد)؛ مشيرا إلى قدم استعمالها، فمنهم من اعتبر أن أول من قالها هو كعب بن لؤي، والبعض الآخر اعتبر أن النبي داوود عليه السلام هو أول من قالها، وأن المقصود بها فصل الخطاب. يقول الصولي: "والمعنى في أنها لا تقع مبتدأة من المراد بها أما بعد هذا الكلام يعني الذي تقدم فإن الخبر كذا وكذا"[1]. ويقدم لنا الصولي نموذجا يبين لنا من خلاله موقع هذه العبارة ودلالتها، فقد "روي عن النبي ﷺ أنه كتب إلى بني أسد: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بني أسد، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد فلا تقربن مياه طي ولا أرضهم فإنه لا يحل لكم)"[2]. ويؤكد الصولي على ضرورة اقتران الفاء بعدها لاعتبارات لغوية وسياقية، يقول في هذا الصدد: "ولا بد من مجيء الفاء بعد أما لأن أما لا عمل لها إلا اقتضاء الفاء واكتسابها فإن الفاء تصل بعض الكلام ببعض وصلا لا انفصال بينه ولا مهلة فيه. ولما كانت أما فاصلة أتيت بالفاء لترد الكلام على أوله"[3].

### 3. تصدير الكتب:

يبرز الصولي أهمية تصدير الكتب بذكر اسم المُرسل والختم بالصلاة على رسول الله وبالدعاء لولي الأمر، فقد كان الرسول ﷺ "يبدأ باسمه ويختم الكتاب باسم كاتبه، وكذلك هي عن الأئمة بإمرة المؤمنين والإمامة والتصدير في أول الكتاب والدعاء في آخره للإمام وولي العهد والوزير واحد. إلا أنهم قالوا: سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وكذلك لولي العهد في التصدير والدعاء الأخير"[4]. ويضيف الصولي "وكان التصدير ينتهي إلى قوله فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، إلى أن أفضت الخلافة إلى الرشيد فأمر أن يزاد فيه واسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ. فكتب بذلك إلى هذا الوقت. فكانت هذه من أفضل مناقب الرشيد"[5].

كما يحدد الصولي شروط هذا التصدير؛ وهي شروط تستحضر مقامات المخاطبين وما يستلزم ذلك من عبارات، يقول: "ولا يكاتب بالتصدير الإمام ولا ولي عهده ولا وزيره. فأما الإمام

---

[1] نفسه، ص 37.

[2] نفسه، ص 38.

[3] الصولي، أدب الكتاب، ص 38

[4] نفسه، صص 39 – 40.

[5] نفسه، ص 40.

فيكتب بالتصدير إلى كل من خاطبه من عامل حرب وخراج وقضاء في الكتب المدونة المنعوتة بالعهود والعقود وجباية الفيء والحمول والنفقات والاقطاعات والامارات والفتوح وما جرى هذا المجرى. ويبدأ بنفسه، ولا يخاطب الإمام أحدا من هذه الطبقات بدعاء له في التصدير إلا ولي عهده فإنه يدعي له بعد التصدير بالحفظ والحياطة"[1]. أما الأمير فينعت بالاسم والتأمير بغير دعاء ولا كنية اكتفاء بجلالة التأمير، ذلك أن الاسم مع التأمير أجل من الكنية، فيقال مثلا للإمام: لعبد الله فلان الإمام أمير المؤمنين.

### 4. الدعاء في المكاتبة:

يقول الصولي في باب الدعاء في المكاتبة: "ويكاتب الوزير الناس على مقاديرهم ورتبهم في السيف والقلم ومنازلهم، فدعاؤه لأمراء الأقاليم الكثيرة المجموع لهم حربها وخراجها وسائر أعمالها كدعاء النظير إذا نقص قليلاً في صدور كتبه ويختمها بمثل ذلك، ولا بأس عندهم إن ذكر فيها تفدية. فأما دعاؤهم له فاختاروا أن يكون بغير التصدير وبالوزارة على حسب قوة أمرهم وتعززهم ومواقعهم من حسن رأي إمامهم. ومنهم من يدعو بالتوزير راغبا وراهبا"[2]. ويبرز الصولي أن صيغ الدعاء تتعدد حسب ما يقتضيه المقام، إذ نجد الدعاء بإطالة البقاء والعمر ودوام النعمة وبعز الأنصار وبتأييد الأحكام والقوة. وقد خص مثلا الدعاء بالبقاء للخلفاء دون غيرهم من باب تعظيم القدر ورفعة الشأن. يقول القلقشندي: "وينبغي للكاتب أن يحترز في تنزيل كل أحد من المكتوب إليهم منزلته في الدعاء، فلا ينقص أحدا حقه، ولا يزيده فوق حقه"[3]. فعلى الكاتب أن يعرف مواقع الدعاء في المكاتبات، فيدعو بكل دعاء في موضعه، كما يجب أن تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب حسب ما يقتضيه السياق وما يفرضه موضوع المكاتبة.

يقدم لنا الصولي مثالين موضحين؛ الأول من الإمام إلى ولي العهد، والثاني من الوزراء إلى أمراء الناحية، يقول: "يكتب الإمام إلى ولي عهد المسلمين: (من عبد الله أبي فلان الإمام الراضي بالله أمير المؤمنين إلى فلان ابن فلان. سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد وآله)، ثم يكتب بما يراد، ثم يقال: (فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين، وكتب فلان ابن فلان باسم الوزير وباسم أبيه يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا)". وأما

---

[1] نفسه، ص 41.

[2] الصولي، أدب الكتاب، ص 150.

[3] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 6، ص 273.

مكاتبة الوزراء أمراء الناحية الأجلاء، المساوين والمقارنين، فهي: (أطال الله بقاءك، وأدام عزك وكرامتك، وأتم نعمته عليك، وإحسانه إليك وعندك). وربما زيدت لفظة ونقصت لفظة ودون هذا قليلاً (أطال الله بقاءك وأعزك وأكرمك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك)"[1].

### 5. إثبات التاريخ:

يؤكد الصولي على أهمية توثيق الكتاب والتأريخ له، فقد "قال بعض الكتاب: التاريخ عمود اليقين، ونافي الشك، وبه تعرف الحقوق وتحفظ العهود"[2]. ويضيف قائلا: "الكتاب بغير تاريخ نكرة بلا معرفة، وغفل بغير سمة"[3]. أما عن موقع إثباته، فيقول: "ولا يقع التاريخ في شيء من الكتب السلطانية من رئيس أو مرؤوس إلا في أعجاز الكتب. وقد يؤرخ النظير والتابع ما خلص من الكتب في صدورها"[4].

### 6. الخط:

ينسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: (حسن الخط إحدى البلاغتين)"[5]، وقد أولى ابن خلدون (ت. 808 هـ) للخط اهتماما خاصا، باعتباره بيانا عن القول والكلام اللذين بدورهما يضطلعان بوظيفة الإفصاح عما في النفس والضمير من المعاني. لذلك، يشترط في كل منها أن يكون واضح الدلالة[6]. وقد عده الصولي صناعة شريفة تكشف عن حذاقة الكاتب وتفننه، ويورد لنا مجموعة من الآراء من الثقافتين العربية والإغريقية التي تؤكد ذلك؛ "قال يحيى بن خالد البرمكي (الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول)... وقال أقليدس (الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية)... وزعم صاحب المنطق أن الأشياء موجودة في أربعة مواضع: في الأشياء ذوات المعاني في أنفسها وفي العقول والقول

---

[1] الصولي، أدب الكتاب، ص 163

[2] نفسه، 184

[3] الصولي، أدب الكتاب، ص 184.

[4] نفسه.

[5] النويري، شهاب الدين أحمد، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية، القاهرة، 2004، ج 7، ص 14.

[6] ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط 7، 2014، ج 3، ص 279.

والخط"[1]. وقال أفلاطون "(الخط عقال العقل)، وقال أرسطا طاليس (القلم العلة الفاعلة، والمداد العلة الهيولانية، والخط العلة الصورية، والبلاغة العلة النامية)"[2].

كما بّين الصولي أن الخطوط تتعدد وتتنوع، "وللخط صفات وتركيبات وأسماء مختلفات تحد وتصنف كما يقال ذلك في النغم واللحون، فمنه الرياشي المحقق والخفيف المطلق وهو الذي يتعلق بعضه ببعض ومنه منثور ومجموع"[3]. كما يوضح أن الخط سمة مميزة لصاحبه تميزه عن غيره من الخطاطين، يقول: "ومن الأعجوبة في الخطوط كثرة اختلافها والأصول واحدة كاختلاف شخوص الناس مع اجتماعهم في الصنعة، حتى إن خط الإنسان يصير كحليته ونعته في الدلالة عليه، واللزوم له والإضافة إليه، حتى يقضي به الكاتب له وعليه"[4]. وقد ذكر الصولي كذلك ما قيل في حسن الخط وقبحه في المنظوم والمنثور، "ومن فضل حسن الخط أن يدعو الناظر إليه إلى أن يقرأه وإن اشتمل على لفظ مرذول ومعنى مجهول، وربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان وفوائد مستظرفة فيرغب الناظر عن الفائدة التي هو محتاج إليها لوحشة الخط وقبحه"[5].

وقد دعا الصولي الكتاب إلى ضرورة إصلاح الخط وتهذيبه حتى يوصف بالاعتدال والاستقامة والجودة، متوقفا في ذلك عند طرق كتابة بعض الحروف. يقول: "سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة فقال إذا اعتدلت أقسامه. وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشبه راءه نونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوره، وإلى العقول ثمره"[6].

### 7. تخيّر الأسلوب:

تفرض الصناعة الأدبية على الكاتب أن يتخير الصيغ المناسبة في المكاتبة؛ فما يخاطب به الخلفاء غير ما يخاطب به الوزراء، وما يخاطب به الوزراء غير ما يخاطب به العوام، فكل حسب منزلته ومنصبه. يقول الصولي: "اختار مشائخ الكتاب، أن تكون كتب الوزراء النافذة عن الخلفاء بغير تاء المخاطب، ولا نون الجمع، فيقول عنه: (فعلت كذا أو فعلنا كذا) بل يقول في كتبه عنه

[1] الصولي، أدب الكتاب، صص 41 – 42.
[2] نفسه، ص 45.
[3] نفسه، ص 50.
[4] الصولي، أدب الكتاب، ص 43.
[5] نفسه، ص 42.
[6] نفسه، ص 50.

وتوقيعاته (فعل أمير المؤمنين كذا فامتثل ما أمر به أمير المؤمنين)"[1]. كما يدعو الصولي إلى تجنب آفة اللحن معتبرا ذلك قبحا شنيعا لا يليق بمن يمتهن الكتابة، يقول في هذا الصدد: "وقالوا (اللحن في الكتاب، أقبح منه في الخطاب). وأكثر العلماء يلحن في كلامه لئلا ينسب إلى الثقل والبغض، فأما في الكتاب وإنشاد الشعر فإن ذلك قبيح جدا غير جائز"[2]. كما ينبه الصولي الكتاب على مسألة الاقتضاب وتجنب الإطالة، وذلك دون إخلال بالمعنى، فالإيجاز حد من حدود بلاغة على حد تعبير ابن المقفع، يقول الصولي: "وقال جعفر بن يحيى لكتابه (إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات فافعلوا)، يريد بذلك حضهم على الإيجاز والاختصار"[3].

**أدوات الكتابة:**

لا ينظر الصولي للكتابة على أنها موهبة استثنائية فحسب، بل ينظر إليها أيضا على أنها صنعة، وبالتالي فهي كسائر الصناعات والحرف كالنجارة والحياكة، تحتاج إلى أدوات خاصة للعمل بها ومن خلالها. ويحفل كتاب (أدب الكتّاب) بالعديد من الأدوات والآلات التي تعين الكاتب في صناعته، وقد أورد الصولي عددا منها مبينا معانيها وطرق استخدامها وأثرها في هذه الصناعة وما قيل فيها من الكلام منظومه ومنثوره.

**8. القلم:**

يقول جابر عصفور: "والقلم أداة الكتاب ووسيلة الكتابة، من حيث هو دلالة مرتبطة بحضورها. وضعه عز وجل في أرفع مكان، لما له، ونصره الله بذكره في كتابه العزيز حين قال ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ فأقسم بالقلم كما أقسم بما يُخَّط بالقلم. ويعقب الجاحظ على ذلك مقارنا بين القلم رمز النزعة الكتابية واللسان رمز النزعة الشفاهية، معتبرا أن القلم هو علامة الحضور المتصل والزمان الممتد للكتابة ... ومن الممكن أن نرى هذه الدلالة الرمزية للقلم في مصادر كثيرة يزخر بها تراثنا العربي؛ ففي كتاب أبي بكر الصولي نقرأ أن أول ما أنزل من القرآن هو قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، فجعل تبارك اسمه أول ما أنزل في القرآن ذكر التفضيل على عباده بخلقه لهم، وأتبع ذلك بذكر الإنعام عليهم بما علمهم من الكتاب الذي به قد أتم أمر دينهم ودنياهم

[1] نفسه، ص 150.

[2] نفسه، ص 130.

[3] الصولي، أدب الكتاب، ص 134.

واستقامة معائشهم وحفظها. ولولا أن من لا يحسن الكتابة يجد ممن يحسنها معونة وإبانة عنه لما استقام له أمر ولا تم له عزم وكان محل الصور الممثلة والبهائم المهملة"[1].

إن الله عز وجل أقسم بالقلم، الذي هو آلة الكتابة، والأقسام لا تقع منه تعالى إلا بشريف ما أبدع كالشمس والقمر والنجوم وما أشبهها مما به نظام الخلق واتساق التدبير، وإلحاقه القلم به في القسم دليل على شرف رتبة الصنعة التي تقوم بها، وأنها أصل عظيم من أصول منفعة الخلق. وقد أورد الصولي عددا من الأقوال التي تبرز مكانة القلم، نورد منها:

"قال ابن المقفع: (القلم بريد القلب).

وقال أبو دلف: (القلم صائغ الكلام ويفرغ ما يجمعه العلم).

وقال المأمون: (لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة).

وقال عبد الحميد: (القلم شجرة ثمرتها الألفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة)"[2].

وقد تطرق الصولي إلى أنواع الأقلام وما قيل فيها وتفضيل القصبية. يقول: "حدثنا أحمد بن إسماعيل قال أهدى مهد أقلاما وكتب: أنه لما كانت الكتابة قوام الخلافة، وزينة الرياسة، وعمود المملكة، وأعظم الأمور الجليلة غاية؛ أحببت أن أتحفك من آلتها بما يخف عليك محمله، وتقل مع ذلك قيمته، ويكثر نفعه، ويصغر خطره. فبعثت إليك أقلاما من القصب النابت في الأعذاء، المغذوة بماء السماء"[3].

وقد أشار الصولي إلى بعض الصفات التي تجعل القلم وسيلة فعالة في الكتابة وتضمن له الجودة والفعالية. فقد أوصى إبراهيم بن العباس الصولي غلاما كان يكتب بين يديه "ليكن قلمك صلبا بين الدقة والغلظ، ولا تبره عند عقدة، ولا تجعلن في أنبوبه أنبوبة، ولا تكتبن بقلم ملتوٍ، ولا ذي شق غير مستو، واختر من الأقلام ما يضرب إلى السمرة، واحدّ سكينك، ولا تستعملها لغير قلمك، وتعهد بالإصلاح يصلح، وليكن مقطك صلبا ليمضي الخط مستويا لا مستطيلا"[4].

[1] جابر عصفور، غواية التراث، صص 156 – 157.

[2] الصولي، أدب الكاتب، صص 67 – 68.

[3] نفسه، ص 71.

[4] نفسه، ص 54.

### 9. الحبر:

يعد الحبر أهم أدوات الكتابة فبه تسيلُ أقلام الكُتاب، وبه حُفظت المواثيق والعلوم والآداب. الحبر هو المداد الذي يكتب به، والجمع أحبار. يقال: حبَّرَ الشيء، أي زينه ونمقه، يقال: حبر الشعر والكلام والخط، وحبر الدواة (المحبرة): ملأها بالحبر. وسمي الحبر حبراً لأنه تحبر به الأخبار. يقول الصولي: "ذكرنا أشعارا قيلت في الحبر في باب الدواة لاتصالها لها كاتصال التوريق بالكتابة والوراقين بالكتاب وبالحبر تكتب المصاحف والسجلات وما يراد بقاؤه. وإنما سمي الحبر حبرا لتحسينه الخط من قولهم حبرت الشيء تحبيرا وحبرته حبرا زينته وحسنته"[1]. كما يوضح الصولي طريقة استعمال الحبر ومدة صلاحيته ضمانا للجودة المنشودة "قال بعض الكتاب ليكن الكرسف في نهاية ما يكون من السواد ولتكن الليقة التي فيها الكرسف في نهاية اللين والنعمة، والأجود أن تكون مستديرة، فإن كان كذلك أجزأ الكاتب أن يسمها روق القلم، ولا يلحقه كلفة ولا إبطاء في الاستمداد"[2].

### 10.الدواة:

يقصد بالدواة المحبرة وهي وعاء الحبر، والجمع محابر. وقد أبدع الأدباء والشعراء في وصفها وبيان حجمها ورونقها، يقول الصولي: "قال بعض الكتاب حكم الدواة أن تكون متوسطة في قدرها، نصفا في قدها، لا باللطيفة جداً فتقصر أقلامها، ولا بالكبيرة فيثقل حملها. لأن الكاتب - ولو كان وزيراً له مئة غلام مرسومون بحمل دواته - مضطر في بعض الأوقات إلى حملها ووضعها ورفعها بين يدي رئيسه، حيث لا يحسن أن يتولى ذلك منها غيره، ولا يتحملها عنه سواه. وأن يكون عليها من الحلية أخف ما يتهيأ أن يتحلى الدوي به من وثاقة ولطف صنعة، ليأمن أن تنكسر أو تنفصم منها عروة في مجلس رياسة أو مقام محنة. وأن تكون الحلية ساذجة، لا حفر ولا ثبات فتحمل القذى والدنس، ولا نقش عليها ولا صورة لأن ذلك من زي أهل التواضع، لا سيما في آلة يستعان بها في مثل هذه الصناعة الجليلة المستولية على تدبير المملكة، وإن أحرقت الفضة حتى يكون سوادها أكثر من بياضها، فإن ذلك أحسن وأبلغ في السرو (الشرف والكرامة والمروءة) وأشبه بقدر من لا يتكثر بالذهب والفضة"[3]. وتوضع بداخلها اللّيقة وهي صُوفَةُ الدواة، عبارة عن خيوط حريرية، يوضع الحبر فوقها ويستمد المداد منها حتى لا تعطيه الحبر الكثير ولا القليل. ويمكن استبدال الخيوط

[1] الصولي، أدب الكتاب، ص 104.

[2] نفسه، ص 100.

[3] نفسه، ص 96.

الحريرية بقطعة إسفنج، ويجب أن تكون المحبرة محكمة الإغلاق ذات قاعدة متينة وفوهة واسعة، "ومن آداب الكتابة أن يحافظ على نظافة الدواة وإدامتها بالملح والكافور، كل يومين أو ثلاثة أيام منعا للرائحة الكريهة، فالحبر يركب من مواد يدخل فيها العسل والصمغ وسخام النفط"[1].

**11.المقط:**

يقول الصولي: "فأما المقط فالموضع الذي يقط من رأس القلم. وأحسن المقاط وأمكنها المربع كهيئة فص النرد زائدا عليه في الطول والعرض ساذج الطرفين، فإذا كان على هذا الشكل رحب مطاه، ووطؤ قراه، وكان أملأ لليد، وأمكن للقط"[2]. وغالبا ما يكون المِقَطّ مصنوعا من قطعة صلبة من العاج أو الصدف أو النحاس، يستخدمه الكُتاب ليقطون عليه أطراف أقلامهم. "وقال بعض الكتاب إذا قططت ولم تسمع لقطتك صوتا كصوت نبض القسي، ووقعة كوقعة عضب المشرفي، فأعد فإن قلمك بعد حفٍ. وأكثر ما يقع ذلك والقلم رطب بمداده وإنما القطة تصلح مع جفافه"[3].

**12.المرفع:**

يعتبر الصولي المرفع من الأدوات التي تعين للكاتب في عمله، وأن ترفه المفرط لا يليق بذوي التقدم في العمل، "وهو أحسن في مجالس الخلوات منه في الجماعات. فأما مجالس الرياسة والجد في الأعمال فلا موقع له فيها. قال أحمد بن إسماعيل: قلما رأيت سيدا رئيسا يجعل بين دواته وبين الأرض مرفعا في مجالس رياسته. وإذا عجز الكاتب عن الاستمداد من الدواة على الأرض فيغنم رفعها إلى يده بهذه الآلة وتقريب متناولها فهو عما سوى ذلك من تمشية الأعمال وتنفيذ الأمور أعجز"[4].

**13.الخاتم:**

يشير الصولي إلى أهمية الخاتم في المكاتبة، وأن الرسول ﷺ اتخذ خاتما في مكاتباته، "ولم يتخذ ﷺ الخاتم حتى احتاج إلى مكاتبة الملوك منصرفة من الحديبية سنة ست فقيل له: إن الملوك لا تقبل الكتاب إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه: (محمد رسول الله) محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر"[5]. وقد استُعمل خاتم التوقيع كرمز للهوية وكشعار للدولة،

[1] محمد فلحي، الطباعة والصحافة الإلكترونية والوسائط المتعددة، دار المناهج، عمان، الأردن، ط 1، 2014، ص 49.
[2] الصولي، أدب الكاتب، ص 110.
[3] نفسه، ص 110.
[4] نفسه، ص 111.
[5] نفسه، ص 139.

خصوصا إذا تعلق الأمر بالمكاتبات الرسمية وفي الدواوين السلطانية، إلى درجة أن معاوية بن أبي سفيان أنشأ ديوانا أطلق عليه (ديوان الخاتم)، و"قال إبراهيم بن العباس الصولي: الكتب موات ما لم يوقع فيها توقيع الختم وتختم، فإذا فعل ذلك بها عاشت. وقال عمر بن مسعدة: الخط صور الكتب ترد إليها أرواحها. وكان محمد بن عبد الملك الزيات، إذا أراد أن يختم الكتب دعا بدرج فيه الخاتم، فإذا جيء به وهو خاتم الملك، قام قائماً فأخذه إجلالاً له ثم جلس فأخرجه وختم به ورده إلى الدرج وختم عليه"[1].

## خاتمة:

يتنقل الصولي في هذا الكتاب بين عوالم عدة، فمن البحث عن أول من كتب العربية، إلى مفاتيح الكتابة وفضلها وبداياتها مما ينبغي معرفته لكل من يشتغل بها، إلى المقدمات وطرائقها وما تتضمنه من بسملة، إلى ما قيل في العنوان والنقط والشكل والخط الدقيق، متوقفا كذلك عند أدوات الكتابة من قلم وحبر ومقط ومرفع، وانتهاء بما يختم به من دعاء وتوقيع. وهنا يدخلنا الصولي إلى فضاء جمالي من خلال اقتباسات من ثقافات مختلفة تولي عناية خاصة بفعل الكتابة، مستشهدا في كل ذلك بنصوص من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والخطب والأبيات الشعرية التي شكلت مادة ضخمة وأساسية في هذا الكتاب.

وقد اتسم عمله هذا بالإيجاز البليغ، والأفكار الواضحة المتسلسلة، والابتعاد عن الصناعة والتكلف. ذلك أن هدف الصولي في (أدب الكتاب) هدف تعليمي، سلك فيه مسلك وظيفيا، يروم من خلاله إعانة الناشئ المتعلم للصناعة الأدبية، والزيادة في تمهير السالك، وإفادة الخبير المتمرس وصقل مهاراته، لما يتضمنه من أفكار وتقنيات تمس مختلف الجوانب العلمية والعملية الضرورية التي يحتاجها الكاتب في صنعته.

[1] الصولي، أدب الكتاب، ص 141.

# لائحة المصادر والمراجع


- القرآن الكريم.
- ابن خلدون، عبد الرحمان، مقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط 7، 2014.
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أدب الكتاب، نسخه وعلق عليه: محمد بهجة الأثري، المكتبة السلفية، مصر، 1341 هـ
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 2. د.ت.
- العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، تحقيق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1986.
- عصفور، جابر، غواية التراث، كتاب العربي، ع 62، وزارة الإعلام، الكويت، أكتوبر 2005.
- فلحي، محمد، الطباعة والصحافة الإلكترونية والوسائط المتعددة، دار المناهج، عمان، الأردن، ط 1، 2014.
- القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، عمدة الكُتَّاب، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، 2004.
- النويري، شهاب الدين أحمد، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية، القاهرة، 2004.